المحاضرة الرابعة:

أسلوب النداء الناقص: قد يأتي أسلوب النداء ناقصاً، وذلك في صورتين:

الصورة الأولى: أن تحذف (يا): يجوز حذف (يا) خاصة، سواء أكان المنادى مفرداً أم مضافاً، كقوله تعالى: ﴿ يوسفُ أعرضْ عن هذا– يوسف: ٢٩﴾،﴿ سنفرغُ لكم أيُّها الثقلان – الرحمن: ٣١ ﴾،﴿أن أدوا إليَّ عبادَ اللهِ – الدخان: ١٨﴾. بتقدير (يا) قبل: يوسف، وأيُّها، وعباد.

ولم يرد في القرآن الكريم حرف نداءٍ غير (يا)، ولاسيّما مع (ربِّ)؛ ولذلك كثر حذفه مع الدعاء، بل قد تحذف أحياناً (ياء) الإضافة في (ربِّ)؛ لأن أسلوب الدعاء لا يتطلب إلا إيصال المعنى في أقصر عبارة؛ لقرب الخالق من عبده، كما عبّرت الآية الكريمة: ﴿ وإذا سألكَ عبادي عني فإنّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ – البقرة: ١٨٦﴾ و﴿ ونحنُ أقربُ إليه من حبلِ الوريدِ– ق: ١٦﴾. وهذا ما يسمى بأسلوب الدعاء، وكلُّ دعاء نداء، ولا يجوز العكس؛ وذلك لأن الدعاء من أقل رتبة إلى أعلا رتبة، أما النداء فيختلف من خلال رتب المنادي للمنادى له. ومنه قوله تعالى: ﴿ قالَ ربِّ إني وهنَ العظمُ مني– مريم: ٤﴾،﴿ وقلْ ربِّ زدني علماً –البقرة: ٢٨٦﴾،﴿ربنا لا تُؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا– البقرة: ٢٨٦﴾.

ولا يجوز حذف حرف النداء مع المندوب، نحو: وازيدَاهْ، ولا مع المستغاث به، نحو: يا لَزيدٍ؛ لأن القصد إطالة الصوت والحذف ينافيه. ولا يجوز حذف حرف النداء أيضاً مع الضمير، نحو: يا إيَّاكَ قد كُفِيتُك، لأن في حذفه تفويتاً للدلالة على النداء.

لكن الحذف مع اسم الإشارة قليل، وكذا مع اسم الجنس، حتى أن أكثر النحويين منعوه، ولكن أجازه طائفة منهم، وتبعهم المصنف؛ لورود السماع به، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أنتم هؤلاءِ تقتلون أنفسكم– البقرة:٨٥﴾، والتقدير عندهم: (ثم أنتم يا هؤلاء). وعند غيرهم من النحويين أنه لا نداء في الآية وإنما يعربون قوله تعالى: أنتم: مبتدأ، وهؤلاء: خبر. ومنه قول الشاعر: (ذا ارعواءً فليس بعد اشتعالِ الر...أسِ شيباً إلى الصِّبا من سبيلِ– الشاهد:٣٠٥)، الشاهد فيه: (ذا)، حيث حذف حرف النداء مع اسم الإشارة، فدل ذلك على أنه وارد لا ممتنع، خلافاً لمن ادعى منعه، ولكنه قليل.

ومما ورد منه مع اسم الجنس (واسم الجنس: هو الذي لا يختص بواحد دون آخر من أفراد جنسه، كرجل وامرأة) وإنما جاز نداء اسم الجنس عند الكوفيين لورود السماع به، كقولهم: (أصْبحْ لَيلُ) أي: يا ليلُ، و(أطرِقْ كرَا) أي: يا كرا، و(افتَدِ مخنوقُ) أي: يا مخنوق.

والصورة الثانية: أن يحذف المنادى ويبقى حرف النداء (يا)، إن وليها فعل أمر أو دعاء. وفي ذلك خلاف بين النحويين، فهناك من يذهب إلى أن وجود حرف النداء يعني أن دلالته متحققة، وينبغي أن نرد ما حذف من الجملة إلى أصله. بمعنى أن كل حرف نداء يقتضي منادى فإن لم يكن المنادى مذكوراً، أي إن كان محذوفاً وجب تقديره بلفظ مناسب، كقوله تعالى: ﴿ ألا يا اسجدوا– النمل: ٢٥ ﴾،﴿ يا ليتني كنتُ معهم– النساء: ٧٣﴾، ﴿ يا ليت قومي يعلمون – يس: ٢٦﴾ والتقدير في كل ذلك: يا قوم، ويا اللهَ في الآيتين الأخيرتين. وهناك من لم يرَ منادىً محذوفاً، فليس كل كلامٍ مصدراً بحرف نداءٍ نداءً، والحق أن (يا) أصلها حرف نداء، فإن لم يكن منادى بعدها كانت لمجرد تنبيه واستثارة السامع إلى ما بعدها، فنقول في إعراب (يا): أنها للنداء فحسب، وما بعده حسب موقعه في الجملة.